حديث يا محمد والله ما احدا غير من الله ان يزني عبده او تزني امته المنزهون لله
عن سمات الحدوث ومشابهة المخلوقات بين رجلين اما ساكت عن التاويل
واما متاول ثم قال الامر في التاويل وعدمه في هذا قليل عند من اسلم التنزيه
فانه حكم شرعي اعني الجواز وعدمه فيؤخذ كما يؤخذ ساير الاحكام
الا ان يدعي مدع ان هذا الحكم ثبت بالتواتر عن صاحب الشرع اعني المنع
من التاويل ثبوتا قطعيا فخصمه يقابله حينئذ بالمنع الصريح وقد
يتعدى بعض خصومه الى التكذيب القبيح بالمنع الصريح انتهى كلامه
ونعم ما قاله الا انه كلام مجمل والتفصيل ان بعض ذلك الظاهر فيه
التاويل والمنع جمود كجمود الظاهرية فمثل بل يداه مبسوطتان المراد به
مطلق الجود فكما لو استعمل في المخلوق للجار حتى لم نحمله على الحقيقة
الا بله الناس ومنه المتعين السكوت عنه بعد القطع بان الله
ليس كمثله شيء وان العقول لا تدرك ماهيتها الله سبحانه وتعالى لا دراكه
فمن كمالها ان يدرك حدها ولا يتعدى قدرها ووظيفتها وذلك ما لا يحصى
مما هو ظاهر بين في التشبيه ولا يتهيا تاويله الا بترك الظاهر اجنبيا
عن اللفظ او انزال ما هو في طبقات البلاغة الى الحضيض وذلك انا ان
حملناه على ظاهره عاد ذلك الحمل على نفسه بالنقض لان المفروض الملازمة
بين ذلك الظاهر وبين الحدوث فيهدم كلما تترتب على المتقدم ومن
المرتب هذا الظاهر المسلم حقيقته وكذلك تنقض ساير المرتبات وحاصل
هذا القسم ما لو اضيف ذلك اللفظ الى من يجوز عليه معناه لكان الراجح فيه
الحقيقة والواجب السكوت في هذا القسم لانه يحتاج الى تمحل لعله يق والمنا
الدقيقة بالتخمين وغايته انه لا مانع من ارادة ذلك المعنى وليس براجح
الجواز ارادة غيره فالحاكم بذلك المعنى المرجوح حاكم بالمرجوح وهو محرم بالاجماع
في ساير الاحكام الشرعية فضلا عن هذا المحل المحترم وهو داخل تحت قوله
تعالى وتقولون على الله ما لا تعلمون وغيرها من الآيات نحوها اذ المرجوح ليس
بعلم ولا ظن يطلق عليه العلم فالتاويل محرم بلا شك لكن ربما تعجب ارباب
البيان حسن استعارة او نحوها فيقفون عندها ويطربون فيحكمون بمقتضاها
رعاية للنكتة المستحسنة في طرايفهم بغير التفات الى ان هذا لا يكون

الابعد

٤٦١

الا بعد ان يعود اليه الدليل الراجح وما تلك اللطيفة الا خضراء الدمن فاياك واياها
ولنوضح ذلك في صورة من كلامهم في غير جانب الحق تعالى صيانة لما يجب
تنزيهه كاختلاف الناس في الاحرف المقطعة اوايل السور والحق انها
من القسم المتشابه الذي يجب السكوت عنه ونقول آمنا به كل من عند
ربنا فاخترع الزمخشري بعقله طريقة خف لها الناس وهي ان المعنى
ان هذه الاحرف هي التي يتركب منها الكلام في محاوراتكم والقران مركب
منها فما المانع لكم من تركيب مثله لولا انه من عند الله والاعتراض عليه
ان مثل هذا من باب الرمز الذي يترتب على اصطلاح جماعة وليس من طرق كلام
العرب واساليبها وهذا اللفظ لا يدل على ذلك المعنى بحقيقته ولا بمجاز
فالحقيقة واضح والمجاز نوع علاقته موضوعة معروفة ومن
هذا النمط ما ذكره السيد الشريف في حاشية الكشاف
عند قوله تعالى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ان في
توحيد السمع وجمع اخويه اشارة لطيفة الى ان مدركاته نوع واحد ومدركاتهما
مختلفة ثم قال وما قيل من ان دلالة وحدته على وحدة متعلقه لا تعلم من
اي الدلالات هي مدفوع بانها من الدلالات الالتزامية والاعتراض على ذلك
بما مضى من عدم تسليم انها طريقة لغوية فيسقط قولهم اعتبارات
البلغا الا انا نقول ان كان المراد البلغا الذين قولهم حجة سليقة فمرحبا ولكنكم
لم توردوا ولن توردوا من ذلك كلمة واحدة وان كان اعتبارا انكم واشباهكم
من حذاق الدراية فانتم مقبولون نقلا لا بمجرد الاعتبار فليس بمقبول وايمة
اللغة كسيبويه والخليل وغيرهم لم يجيبوا بشي مما ذكرتم واما قولهم الالتزامية
المجال فهو كلام صحيح غير ان النزاع في صحته في هذا الموضع كما قلنا في صحة
اعتبارات البلغا فانه لا ملازمة هنا وقوله ولو بحسب الاعتقاد صحيح
ايضا ولكنه لا يصلح في مسالتنا لان دلالة الوحدة على الوحدة انما هي بالوضع
تثبت حيث تثبت وتنتفي حيث تنتفي ودلالة الالتزام عقلية والمخاطبون
بالاية انما يعتقدون بالمدلول اللغوي وقد انتهز الفرصة بعض
مقلدي ابن العربي واهل نحلته ومن سلك مسلكهم من ساير الباطنية في
تفاسيرهم للكتاب والسنة فاحتج بكلام الشريف هذا ولا حجة لهم فيه

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)